اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

عُنْوَانُ الْمَتْنِ:

الْقَوَاعِدُ الأَرْبَعُ

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فنتدارس ونتذاكر فيما بيننا متن القواعد الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي -رحمه الله تعالى- صاحب الدعوة السلفية، ومن أنقذ الله عز وجل به الجزيرة العربية وجدد الله عز وجل به دين نبينا محمد صلى الله عليه؛ حيث دعا إلى التوحيد والسنة وحارب الشرك والبدعة والضلالة، وأرسى قواعد هذا الدين، ودعا الناس إلى الرجوع إلى الدين الصحيح الذي بعث به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

لذا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- يعتبر عند أهل العلم، وعند المسلمين من المجددين لهذا الدين.

وتجديد الدين ليس معناه أن نبتدع، وأن نخترع، وأن نأتي بأمور من تلقاء أنفسنا، وإنما تجديد الدين يكون باتباع وإحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وبمحاربة الشرك والبدع والضلالات وبيان الحق ونصرته ورد الباطل وإزهاقه.

هكذا يكون هذا التجديد السلفي الشرعي.

وهذه القواعد الأربع شرحها جماعة من أهل العلم مما يدل على مكانتها وفضلها وأهميتها، فممن شرحها الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، والعلامة محمد أمان الجامي رحمه الله تعالى، والعلامة أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله تعالى، وكذا العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى وغيرهم من أهل العلم، كالشيخ صالح آل الشيخ، حيث شرح هذه الرسالة وغيره أيضا ممن شرح هذه الرسالة.

وهذه القواعد الأربع كما يقول الإمام ابن باز رحمه الله تعالى في شرحه لهذه الرسالة.

قال: ((أما بعد : فهذه القواعد الأربع نبه عليها المؤلف رحمه الله وهي قواعد مهمة، فمن عقلها وفهمها جيدا فهم دين المشركين وفهم دين المسلمين، وأغلب الخلق لا يفهم هذه القواعد، ولهذا التبست عليهم فعبدوا القبور وأصحابها و الأولياء والأشجار والأحجار من

دون الله وهم يحسبون أنهم على شيء لجهلهم بحقيقة التوحيد وحقيقة الشرك.

ومؤلف هذه القواعد هو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهو المجدد لمن درس من معالم الإسلام في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني العشر المتوفي سنة 1206هـ من الهجرة النبوية)). انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في مقدمة هذه الرسالة، قال:

((بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مبارَكًا أينما كنت، وأن يجعلك ممّن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة)).

مر معنا أن الابتداء ببسم الله الرحمن الرحيم دليله الاقتداء بكتاب الله عز وجل حيث البسملة هي أول ما في القرآن العظيم بسم الله الرحمن الرحيم.

وأيضا جاء في بعض كتابات النبي صلى الله عليه وسلم، وفي بعض الآثار عن السلف البدء ببسم الله الرحمن الرحيم، وأن حديث: ((**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله** -وفي بعض الروايات- **بحمد الله فهو أبتر أقطع أجذم**)) قلنا كما نبه على ذلك الإمام الألباني رحمه الله تعالى: هو حديث ضعيف لا يصح، بل قال الألباني: ضعيف جدا، ولا يتقوى مع كثرة الطرق لشدة ضعفها.

قال رحمه الله تعالى : ((**أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة**)).

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ابتدأ هذه الرسالة بالدعاء لطالب العلم وطالب الحق من الذكور و الإناث دعا لهم بهذه الأدعية المباركة، ومنها أن يتولاه الله عز وجل في الدنيا والآخرة،

والمعنى أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى حين قال: ((**أسأل الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة**)).

يتولاك بمعنى ينصرك ويؤيدك في الدنيا والآخرة، فمن تولاه الله عز وجل، وكان العبد وليا لله عز وجل.

فمن ذا يخاف؟

ومن ذا يغلبه؟

فإن الله عز وجل إذا كان له نصيرا وظهيرا، فإنه سبحانه وتعالى كما قال ابن جرير في قوله عز وجل: {**الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**}.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: أي نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه.

لذا سأل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب سأل الله عز وجل لك يا طالب العلم، ولك يا طالبة العلم أن يتولاك الله عز وجل، وأن

يحفظك وأن يحفظك وأن ينصرك وأن يوفقك لكل خير؛ لأن الإنسان في هذه الدنيا في دار بلاء وابتلاء واختبار و له الاختيار.

وكما مر معنا أن مشيئة العبد واختياره لا تخرج عن مشيئة الله عز وجل, وما تشاءون إلا أن يشاء الله، فهذا الدعاء العظيم من هذا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى دليل على حرسه وعلى شفقته، وعلى حسن تربيته لطلاب العلم وطالبات العلم، وأن المعلم ينبغي أن يكون حريصا على طلابه.

وكيف لا؟!

والنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على هداية الناس وعلى استجابتهم، وعلى رجوعهم ودخولهم في دين الله عز وجل.

ثم قال رحمه الله تعالى : ((**وأن يجعلك مباركا أينما كنت**)).

أيضا دعا الله عز وجل أن يجعلك يا طالب العلم و يا طالبة العلم بما تعلمت وبما درست، وبما تعلمت وبما درست، أن يحصل منك الخير والنفع للناس.

((**مباركا أينما كنت**)) بمعنى أنك تنفع الآخرين بما عندك من علم شرعي، وبما عندك من الدلالة على الحق والتحذير من الشر.

وأما أن تدعو إلى الشر وتحذر من الخير، فأنت لست مباركا بل أنت مفتاح للشر مغلاق للخير وهؤلاء من شرار الخلق نسأل الله السلامة والعافية.

((**وأن يجعلك مباركا أينما كنت**)) ومر معنا التنبيه في محاضرة ((أخطاء في العقيدة)) أنه ليس معنى المباركة أو البركة أن تتبرك بالإنسان وأن تعتقد فيه أنه ينفع أو يضر؛ فإن هذا من الاعتقاد المنهي عنه، والمحرم شرعا.

بل هو يدخل في باب الشرك: إذا اعتقدت في شخص أنه ينفع ويضر ببركته فقد وقعت في باب من أبواب الشرك؛ ولذلك معنى قوله

هاهنا: ((**وأن يجعلك مباركا أينما كنت**)). أي كثير الخير وكثير النفع للناس بهدايتهم للحق بدعوتهم للحق، وبتحذيرهم من الشر.

وأيضا يعني: ألا يصدر منك إلا الأمر الطيب بإذن الله تعالى.

ثم قال في دعائه: ((**وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر فإن هؤلاء الثلاث** -أي الشكر والصبر والاستغفار- **عنوان السعادة**)).

يعني: إن كنت ممن إذا أنعم الله عز وجل عليه بالنعم فإنك تشكر الله عز وجل بطاعته واتباع سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وأن تعمل بطاعة الله.

كلما أنعم عليك، وإذا أنعم عليك، ازددت له طاعة على السنة، وازددت له تقربا على السنة، ((**وما تقرب عبدي إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**)). أو كما جاء في الحديث القدسي.

فإذن: الشكر لنعمة الله عز وجل، يكون:

❊ **بالقلب**: بأن تعترف، وأن يعترف قلبك بعظيم وجزيل نعمة الله عز وجل: **{وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها}**

❊ **وأيضا الشكر بالثناء باللسان**: بأن تحمد الله عز وجل وتشكره على النعم التي أنعم بها عليك.

❊ **وأيضا الشكر يكون بالعمل**: بأن تطيع الله عز وجل ولا تعصيه، وأن تتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن تَحذر وتُحذر من الشرك ومن البدع والضلالات.

فإذا أعطي العبد شكر، وأيضا من شكر الله شكر الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**)).

فلا بد أن تشكر الناس، وألا تحسدهم، وألا تنكرهم، وأن لا تؤذيهم؛ إذ إن الله عز وجل قد أنعم على بعض الناس ببعض النعم، فأنت تشكره على ما قام بأداء هذه النعم.

قال : ((**وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر**)) كما مر معنا، هذه الدنيا قيل سمي الدنيا لدنو زوالها، أي: قرب زوالها.

وقيل سميت هذه الدار الدنيا لأنها دار دنيئة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه**)).

ومن الأمور المتعلقة بهذه الدنيا كثرة الابتلاءات، وكثرة المصائب، وكثرة أمثال هذه الأمور، فإذا وقع الابتلاء على العبد عليه أن يصبر، وألا يجزع.

والصبر كما ذكر أهل العلم ثلاثة أنواع:

❊ **صبر على الطاعة**: بأن تؤديها على الوجه المشروع.

❊ **وصبر عن المعصية**: بأن لا تقع فيها، وأن تتوب إن وقعت فيها، وأن تحبس نفسك عن معصية الله عز وجل.

❋ **وصبر على المصائب والأقدار**: فإن رضيت فلك الرضا، وإن جزعت وسخطت فلك السخط؛ ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على امرأة كانت تبكي على ميت لها.

فقال لها: ((**اتقي الله، واصبري**)).

وكانت لا تعلم أنه النبي صلى الله عليه وسلم.

فقالت: ((ليك عني إنك لم تصب بمصيبتي)).

فذهب النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل لها: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تعتذر.

فقال لها صلى الله عليه وسلم: ((**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**)).

فالإنسان يصبر على هذه الأقدار، وعلى هذه المصائب، وعلى هذه المحن؛ **لأنه إن صبر**: {فإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}.

وإن جزع واعترض على قضاء الله، فإن هذا الجزع والسخط لا يرفع عنه ما حل به من المصائب، بل يؤاخذ ويحاسب على ما يقوله أو

يفعله من نياحة، أو تقطيع للثياب، أو كلام يعترض فيه على ما قدره الله.

ولذلك نبه العلماء على أن من الخطأ قول بعضهم إذا مات إنسان أو صارت له مصيبة يعني: ((فلان ما يستاهل)) ((فلان كذا)).

قالوا: هذا خطأ؛ فهذه أمور مقدرة.

فإذن علينا بارك الله فيكم أن نعلم هذه الدنيا دار ابتلاء لابد أن يصبر؛ ولذلك جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل))**. أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فإذا كان الأنبياء -وهم أفضل الخلق عليهم الصلاة- والسلام يبتلون ويصبرون، وكذا أولياء الله عز وجل يبتلون في هذه الدنيا.

ولنعلم بارك الله فيكم أن الابتلاءات فيها رفع للدرجات، وأن من كان من يعني من الناس من غير الأنبياء والرسل ممن ابتلي بالمعاصي

فإن هذه الابتلاءات والمصائب تكفر له الذنوب، كما جاء في حديث عائشة وغيرها.

لذلك دعا شيخ الإسلام بهذا الدعاء الجامع: ((**وإذا ابتلي صبر**)).

ومر معنا أيضا في الأصول الثلاثة: أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل: **العلم، ثم العمل، ثم الدعوة، ثم الصبر.**

و خديجة رضي الله عنها لما أخذت النبي صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل، وكان امرأ قد تنصر، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ورقة بن نوفل بما رآه من جبريل عليه الصلاة و السلام، فأخبره أن هذا الملك الذي كان ينزل على الأنبياء من قبل.

ثم كان من كلام ورقة: ((ليتني كنت جذعا -أي شابا- حين يخرجك قومك)).

فقال النبي صلى عليه وسلم: ((**أو مخرجي هم؟**)) يعني: هل سيطردونني هل سيخرجونني، وأنا ناصح لهم، وأنا رسول من الله؟

هل سيحل هذا بي ؟

فقال ورقة : ((إنه لم يأت به أحد بمثل ما جئت به إلا عودي)). أي: إلا كان له أعداء يعادون ما عنده من الحق، ويعادون دعوته، ويحاولون التسلط عليه وأذيته، فعليه أن يصبر وألا يلتفت إليهم.

كما نبه على ذلك ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى حين قال في كلام معناه: إن العبد عليه أن يصبر و أن يعمل بطاعة الله، فإن الله هو الذي سيكفيه شر أولئك، وعلى العبد إذا صبر أن لا يأخذ على نفسه أن يعني يرد كيد أولئك بنفسه، بل إنما يجعل أمرهم إلى الله عز وجل هو الذي ينصره، وهو الذي يكفيه شرهم بإذنه سبحانه وتعالى.

فإذا علمنا بارك الله فيكم أن هؤلاء الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين يبتلون بمثل هذه الأمور ويصبرون، فنحن نقتدي بهم أيضا أن نصبر، خاصة الدعاء إلى الله عز وجل: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله}.

فالداعية إنما يدعو إلى الله لا يدعو إلى نفسه، أما الذي يدعو إلى نفسه فإنه لا يوفق، وأما الذي يدعو الى الله فإنه يوفق بإذن الله تعالى.

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ((**وإذا أذنب استغفر**)). يعني: إن وقع العبد في ذنب فعليه بالاستغفار.

❋ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: ((**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**))

❋ وقال الله عز وجل : {وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون}.

فالتوبة واجبة من الكبائر والمسلم إذا أذنب واستغفر، فإنه بإذن الله تعالى تمحى عنه تلك الذنوب، إما بتغطيتها، وإما بإزالتها، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء، ثم إن تاب وأقلع صقلت ومحيت**)). إلى آخر الحديث.

فهذا أمر مهم جدا علينا جميعا أن نتفطن له ما هو هذا الأمر: أننا إذا أذنبنا أن نستغفر الله، وأن نعمل بالطاعة، وأن نتوب إلى الله عز وجل؛

حتى لا يصبح قلبنا أسود من كثرة الذنوب؛ لأنه كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء، كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم السابق:

((إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب وأقلع صقلت ومحيت، فإذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء، ولا يزال ينكت في قلبه حتى يصبح أسود كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا)).

والله عز وجل يقول : {كلا بل ران}، أي غطى، {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}.

أي: غطيت قلوبهم بكثرة أو بسبب ذنوبهم وأعمالهم.

{ما كانوا يكسبون}: أي ما كانوا يفعلون من سيئات وذنوب ونحو ذلك.

لذلك إذا أذنب الواحد منا عليه أن يستغفر، وأن يتوب إلى لله عز وجل كما سبق ((**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**)).

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة، أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الملك صاحب القلم الذي يكتب السيئات، إذا أذنب العبد يرفع القلم إلى سبع ساعات، فإن تاب قبل لم يكتبها وإلا كتبها.

لذلك احرص يا عبد الله واحرصي يا أمة الله، ونحن وكل واحد منا يحرص على أن يتوب، وعلى أن يستغفر بعد الذنب، وألا يطيل العهد بينه وبين التوبة.

قال : ((**وإذا أذنب استغفر**)).

وهنا تنبيه:

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، وحسنه الألباني: ((**كل بني خطاء وخير الخطائين التوابون**)).

فأنت وأنا يا عبد الله معرضون للذنوب، وللوقوع في المعاصي؛ لأن الشيطان عدونا حريص على إضلالنا، وحريص على إيقاعنا في معاصي الله عز وجل.

لذا علينا جميعا أن نعلم هذا الأمر، وأن العبد إذا أذنب وتاب وأناب، ورجع إلى الله عز وجل، فإنه يقبل.

ولنحذر بارك الله فيك من تعيين من أذنب وتاب واستغفر فإن هذا أمر لا يجوز ولا يليق بالمسلم أن يعير أخاه المسلم بعد توبته ورجوعه إلى الله عز وجل؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات سبحانه وتعالى، وهو سبحانه يتوب على من تاب.

لذا كان من سمات المنهج الحدادي أن من وقع في الخطأ ولو تاب منه، ولو رجع عنه، لا يزالون يعيرونه بخطئه، ولا يزالون يذكرون وينشرون خطأه، وكأنه لم يتب منه.

فإن العبد إذا أخطأ في باب الشهوات المعاصي والذنوب، أو في باب الشبهات، مخالفة الحق والبدع والضلالات، ثم رجع وتاب وأناب، فإنه بعد أن تثبت وتحسن توبته في باب الشبهات.

ويعني كما فعل عمر رضي الله عنه مع صبيغ أنظره سنة، ثم قبله فإنه يقبل، ولا يليق بأحد أن يذكر منه ما كان سابقا، إن كان تاب و أناب ورجع إلى الله عز وجل.

فإن باب التوبة مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها، وما بين مصراعيه ما بين جانبيه كما بين المشرق و المغرب.

فمن ذا الذي يضيق على عباد الله عز وجل التوبة أو الرجوع إلى الله؟

هذا إذا كانوا قد وقعوا في هذه الأمور، وأما إن كانت نسبت إليهم خطأ، فإن الواجب ترك مثل هذه الأمور.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: ((**فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة**)).

يعني هذه هي السعادة الحقيقية، وهذه هي السعادة التي يسعى إليها المرء، ويحرص عليها، فليست السعادة في المال، وليست السعادة في الجاه والمنصب، وليست السعادة في الاشتغال والاستكثار من الدنيا.

إنما السعادة هي في القرب من الله عز وجل، وفي الإنابة والرجوع إلى الله عز وجل، وفي الرضا بقضاء الله عز وجل وقدره.

فالشكر والصبر والاستغفار والتوبة إن حصلت للعبد تحققت له السعادة.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : ((**اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، كما قال** تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون})).

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى يقول:

((اعلم أرشدك الله لطاعته)): هذا أيضا دعاء بأن يرشدك الله عز وجل، وأن يوفقك لطاعته، فإذا أرشدك الله وهداك إلى طاعته، ووفقك لسلوك طاعته وطاعته.

هنا المراد بها الدين الذي أرسل الله عز وجل به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول: ((اعلم)): أي علما يقينا جزما لا شك فيه لا بعد أن تتيقن هذا الأمر.

((اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين كما قال تعالى : {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون})).

الحنيفية ملة أبينا أبراهيم عليه الصلاة والسلام التي كان عليها إبراهيم، وبعث بها ودعا قومه إليها.

((هي أن تعبد الله وحده)): فلا تعبد معه شيئا آخر لا قمرا ولا شمسا ولا حجرا ولا ملكا ولا نبيا مرسلا ولا وليا صالحا ولا أي شيء من المعبودات الباطلة من دون الله عز وجل.

((أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين مخلصا)).

الإخلاص: أن تفرده سبحانه و تعالى بالعبادة، فلا تصرف العبادة لغيره مخلصا له الدين، أي العبادة، وما تتقرب به إليه، مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

((كما قال تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)).

أي: إلا ليطيعون، ويوحدون؛ فالله عز وجل بين أن الحكمة من خلق الجن والإنس أن يعبدوه سبحانه وتعالى، ويعبدونه هنا بمعنى يوحدونه، كما جاء عن ابن عباس وعن غيره من السلف.

لذلك إذا صرف العبد العبادة لغير الله عز وجل فقد خالف الحكمة التي من أجلها خلق الله الجن والإنس.

فالحنيفية -كما قال أهل العلم- إنما سميت ملة إبراهيم الحنيفية لأنه مال من الشرك إلى التوحيد، وأيضا الحنيف في اللغة هو الأصل المستقيم.

ولذلك قال الله عز وجل : {ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين}.

يعني: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن على ما كان أبوه وقومه من الشرك، بل رفض ذلك وأبى، وبين ما عليه بطلان عليه قومه من عبادة غير الله عز وجل، وأن تلك الأصنام لا تنفع و لا تضر، بل لا تنفع نفسها فضلا أن تنفع غيرها، بل لا تنطق ولا تتكلم، فضلا أن تسمع وأن تجيب.

فإبراهيم عليه والصلاة والسلام كان أمة قانتا وكان حنيفا لله عز وجل، ولم يكن من المشركين، كما وصفه الله عز وجل في آيات متعددة.

وصف إبراهيم عليه الصلاة والسلام إمام الحنفاء؛ لذلك قال المصنف رحمه الله ها هنا: ((**الحنيفية ملة إبراهيم**)).التي أمرنا باتباعها: {ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين}.

والنبي صلى الله عليه وسلم أتى بهذا التوحيد، وأتى بهذه الملة يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((بعثت بالحنيفية السمحة)).

وكان فيما يتلى في كتاب الله: ((إني لم أبعث باليهودية ولم أبعث بالنصرانية وإنما بعثت بالحنيفية السمحة)). أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وهذه الحنيفية التوحيد الخالص لله عز وجل هو الذي اتفقت عليه جميع الرسالات، وأتى به جميع الأنبياء و الرسل: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**نحن الأنبياء إخوة لعلات أبونا واحد وأمهاتنا شتى**)).

والمعنى أن الأنبياء والرسل جميعا اتفقوا في التوحيد، وأما ما يتعلق بالأحكام والشرائع، فلكل نبي شريعته، كما قال الله عز وجل: {لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا}. أي سنة وسبيلا.

أما السنة فهي السنن والأحكام، و أما السبيل فهو التوحيد، ولذلك هذا التوحيد هو الإسلام بمعناه العام: {إن الدين عند الله الإسلام}.

فكل الأنبياء أتوا بهذا التوحيد، ولذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بين أن الحنيفية ملة إبراهيم تكمن وتحصل وتحقق بهذا الأمر: **أن تعبد الله وحده.**

لأن :

❋ بعض الناس قد يعبدون الله، ويعبدون الولي الفلاني.

❋ بعض الناس يعبدون الله، ويطوفون حول القبر الفلاني.

❋ بعض الناس يعبدون الله ويذبحون لغير الله عز وجل.

❋ بعض الناس يدعون الله ويدعون غيره.

والله: ((**أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)). كما قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي.

ولذلك هذه المسألة قدمها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؛ لأنها أصل عظيم، لابد أن يعرفه كل مسلم، وأن يحققه في عبادته لله عز وجل.

فالحنيفية بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم، وقلنا -كما سبق- أنه جاء في آية في منسوخة، والعلماء قالوا النسخ في القرآن على **ثلاثة أنواع :**

❋ النوع الأول: نسخ القراءة و الحكم:

بمعنى لا تقرأ في القرآن ولا يعمل بها، وهذا كما قالت عائشة رضي الله عنها كان فيما أنزل في القرآن: ((عشر رضعات يحرمن)). فنسخت هذه الآية تلاوة ونسخت أيضا حكما؛ لأنه صار الحكم بخمس رضعات يحرمن الطفل في الحولين إذا رضع خمس رضعات من امرأة واحدة، فإنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، ويكون ابنا لها بالرضاع، وكذا البنت هذا النوع الأول.

❋ والنوع الثاني : أن ينسخ حكم الآية وتقرأ في القرآن:

يعني من ناحية القراءة موجودة الآية في القرآن، وأما حكمها فإنه منسوخ، ولذلك على سبيل المثال ما جاء في أن المسلم في القتال أن الواحد من المسلمين يقابل عشرة، كما في صورة الأنفال حين ذكر الله عز

وجل في قوله : {إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين و إن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون}.

ثم قال ناسخا للآية السابقة : {الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن فيكم مئة صابرة يغلب مئتين وإن يكن منكم ألفا يغلبوا ألفين بإذن الله و الله مع الصابرين}.

فكان الحكم أولا الواحد يقابل عشرة من الكفار، ثم نسخ بأن الواحد يقابل اثنين، فهذه الآية تتلى، ولكن الآية الأولى حكمها منسوخ وهذ النوع الثاني أن ينسخ الحكم وتبقى التلاوة.

*** والنوع الثالث : أن تنسخ التلاوة ويبقى الحكم:**

من ذلك هذا الحديث: ((**إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة فكان هذا مما يقرأ**)).

وكان مما يقرأ أيضا: ما جاء عن عمر رضي الله عنه حين قال كان فيما يتلى في كتاب الله: ((**والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله**)).

فهذه الآية يعمل بها، ولكن لا تتلى في كتاب الله، فهذه ثلاثة أنواع من النسخ في القرآن، كما ذكرها العلماء في كتب علوم القرآن، فكانت هذه الآية: ((**إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة**)). وإن نسخت تلاوة إلا أن حكمها باق ويعمل به.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى : ((**مخلصا له الدين**)).

الإخلاص أحد شرطي قبول العمل والطاعة، وهذا لابد أن نتذكره، وأن نتدبره، فأي عبادة **لا تقبل إلا بشرطين** :

❋ **الشرط الأول**: الإخلاص لله عز وجل.

❋ **والشرط الثاني**: المتابعة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

أما الشرط الأول الإخلاص لله عز وجل بمعنى أن تعمل العبادة لله وحده لا شريك له، فتحذر من الرياء أن تعمل العبادة، ليراك الناس فيمدحوك -كما مر معنا- وأن تحذر من السمعة أن تعمل الطاعة فتذكرها أو أن ترفع صوتك بقراءة القرآن أو بالتسبيح ليسمعك الناس، فيثنون عليك فتبطل عملك، وأن تحذر بأن تعمل للدنيا بعمل الآخرة، بل تعمل الطاعة لله عز وجل، وإن حصل شيء من أمور الدنيا من خير ونحوه فهذا خير على خير.

ولكن أن يكون الباعث والمحرك والسبب لعمل هذه الطاعة طلب أمور دنيوية، فإن هذا ليس من باب الإخلاص لله عز وجل وأيضا مما ينافي الإخلاص أن تصرف العبادة لغير الله عز وجل، هذا الشرك الأكبر.

أما الرياء والسمعة والعمل لأجل الدنيا، فإن هذا يدخل في باب الشرك الأصغر، وأما أن تعمل الطاعة لله، وأن تعمل لغير الله عز وجل

وتصرف الطاعة لغير الله عز وجل فهذا يدخل في باب الشرك الأكبر، كما ذكر ذلك أهل العلم.

ولذلك تأملوا بارك الله فيكم في قول المصنف: ((**مخلصا له الدين**)). فالدين الخالص هو الصافي من شوائب الشرك كبيرا كان أو صغيرا.

وتأملوا قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} أن الحكمة من خلق الخلق هو من باب الابتلاء والاختبار فمن أطاع الله عز وجل دخل الجنة، وأما من عصاه بالشرك أو بالكفر أو بالإلحاد وبالنفاق الأكبر الاعتقادي دخل النار إن مات على ذلك.

و أما أهل المعاصي مع أصل الإيمان فهم تحت قوله تعالى : {إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر دون ذلك لمن يشاء}.

إذا عرفت هذه الملة الحنيفية يقول لك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: ((**فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة**)).

فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : ((**فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته**)).

أي وحده لا شريك له.

ما هي العبادة ؟

العبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ((**كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**)).

هذا مفهوم العبادة العام أنه كله ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ولاحظوا بارك الله فيكم أن ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، بمعنى ما جاء به الرسول مبلغا عن الله عز وجل هذه هي العبادة بمعناها العام.

ولذلك لا تسمى العبادة عبادة إلا إذا توفر فيها الإخلاص وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

طيب، إن عمل عبد أو عملت امرأة بطاعة لله لم يأت بها النبي هي مخلصة لله، ولكن لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم.

ما حكمها؟

حكمها مأخوذ ويعلم من قوله صلى الله عليه وسلم: ((**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**)). أي مردود لا يقبل.

ولذلك لا بد أن نتنبه لهذا الأمر أن العبادة لا تسمى عبادة إلا أن توفر فيها شرطان : الإخلاص والمتابعة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضا تطلق العبادة بمعنى التوحيد -كما مر معنا- {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} .

فشيخ الإسلام يقول : ((**فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته**)) أي وحده لا شريك له في صرف جميع أنواع العبادة وحده له لله سبحانه وتعالى، من دعاء وطواف ونذر و ذبح وخوف وتوكل وخشية وإنابة واستعانة واستغاثة وكل أنواع العبادات التي لا تصلح ولا تصح إلا لله عز وجل.

قال : ((**إذا عرفت ذلك فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة**)).

الآن لو جاءنا واحد وقام وصلى الظهر أو العشاء كان نائما مثلا، وقام صلى العشاء، أو مثلا دخل الخلاء وقضى حاجته، ولم يتوضأ، وقال يريد أن يصلي العشاء.

هل يقبل منه؟

الجواب : لا، لا يقبل منه.

السؤال لماذا؟

لأن الطهارة شرط للصلاة فلا تصح الصلاة، ولا تسمى صلاة إلا مع الطهارة.

فشيخ الإسلام يقول لنا: كذلك التوحيد في العبادة شرط لها فلا تسمى العبادة عبادة إلا إذا كان العبد موحدا لله عز وجل؛ ولذلك ذكر الله عز وجل في المشركين و الكافرين قوله : {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا}.

فالكافر إذا عمل عملا صالحا خيرا في الدنيا، فإنه لا يقبل منه، بل جاء في السنة النبوية ما يدل على أن الله يجازيه في عمله في الدنيا، بأن يعني يسخر له بعض النعم مكافأة له على ذلك العمل الخير، ولكن يوم القيامة لا يقبل منه شيئا، فيأتي ولم يعمل بشيء.

لماذا يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب هذا الكلام ؟

لأن:

❋ بعض الناس يقعون في الشرك، ويقولون: نحن مسلمون.

❋ يذبحون لغير الله ويقولون نحن مسلمون .

❋ ويعتقدون في السيد الفلاني أنه ينفع ويضر و يقولون نحن مسلمون.

❋ ويعتقدون أن القبر الفلاني يطاف حوله ويذبح له ويتقرب له ويسأل من دون الله ويقولون نحن مسلمون.

فيقول لهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: هذه الأمور شرك وعبادتكم لا تقبل؛ لأن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة.

قال : ((**فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة**)).

يعني: إذا كان العبد يفعل الطاعة لله فأدخل عليها الشرك عمل شركا أفسد تلك العبادة، كما أن الإنسان لو تطهر، ثم خرجت منه ريح أو تبول أو نحو ذلك أو نام فإنه تفسد الطهارة؛ لأن الحدث يفسد الطهارة والشرك يفسد العبادة.

وهذا من شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى أمر دقيق، ومثال جميل جدا واضح ظاهر يفهمه العامة، بل حتى البليد يفهمه لوضوحه:

((كما أنك لا تصح منك الصلاة لعدم الطهارة فلا تصح منك العبادة لعدم التوحيد)).

ولكن كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى محمول عند أهل العلم على من كان يعلم أو بين له الحق من الباطل، أما من كان يجهل الحكم ولم يسأل العلماء، وكان جاهلا للحكم ويظن نفسه أنه على شرع الله، فهنا تدخل مسألة العذر بالجهل .

العذر بالجهل:

فليس مراد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ما يأتي به الحدادية من تكفير المسلمين مطلقا، فإن المسلم إن دخل الإسلام بيقين فلا يخرج منه إلا بيقين، والعذر بالجهل -كما مر معنا في درس كشف الشبهات يوم الجمعة الماضية- مقرر عند أهل العلم لأدلته، ولكن أيضا من بيان أمر حتى لا يغتر العبد.

ما مراد العلماء بالعذر بالجهل؟

مرادهم بالعذر بالجهل في حالة الإنسان الذي يجهل الحكم، ولم يمكنه أن يسأل العلماء ولم يقف على بطلان ما هو عليه، ولم يسمع أن ما هو عليه هو من الشرك.

أما إن سمع ما هو عليه شرك، وبلغه الدليل وبلغته النصوص، ولم يسأل، ولم يتفقه، فإن هذا كما بين أهل العلم يؤاخذ ويحاسب.

إذن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد و الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة.

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ((**فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار**)).

هذا يؤكد لكم ما سبق معنا من أن مراد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فيما سبق من أن العبادة تبطل بالشرك، وأن صاحبها هاهنا خالد مخلد في النار، أن مراده فيمن لا يعذر بجهله، يعني أمكنه السؤال فلم يسأل ولم يتعلم وبلغه أن ما عليه شرك وأصر على ما هو عليه.

فأما إذا كان معذورا بجهله، فإن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في رسائله وكتبه يقرر مسألة العذر بالجهل، كما بين ذلك الإمام العثيمين رحمه الله تعالى في شرحه لكشف الشبهات.

فإنه طول الشرح هناك وبين ببيان واضح جلي جزاه الله خيرا أن مسألة العذر بالجهل مسألة مقررة، وبين ما سبق من أنه إذا أمكنه السؤال و بلغه الأدلة، ولم يسأل أنه يؤاخذ.

يقول : ((**فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك**)).

يعني: من الأمور الهامة والخطيرة أن العبد يتعلم التوحيد، وأن يتعلم ما يخالفه ويضاده، أما التوحيد يتعلمه ليعمل به، وأما ما يخالفه من الشركيات، يتعلمها بمعنى يتعلم حكمها ليحذرها، ويحذر الناس منها، ولئلا يقع فيها مستقبلا.

قال : ((**عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك**)).

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم، لما بعث معاذا إلى اليمن، **ماذا قال له؟**

((إنك تأتي قوما هم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات)). الحديث.

فالتوحيد أولا، والتوحيد هم المهم، والتوحيد هو دعوة الأنبياء والرسل إلى قومهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم دعا أمته منذ بعثته إلى موته عليه الصلاة والسلام دعاهم إلى التوحيد.

وبهذا نعرف ضلال بعض الجماعات التي تعتبر التوحيد مفرقا ومسببا للفتن بين الناس، مثل جماعة التبليغ والأحباب التي تعتبر التوحيد أمرا يفرق الناس، وأن التوحيد أمر ليس بالمهم، وأن المهم أن الناس يفعل العبادة.

طيب شيخ الاسلام يقول: العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد؛ لأن التوحيد شرطها وهؤلاء يعتبرون التوحيد مفرقا للناس نعوذ بالله من الضلال .

و أيضا جماعة الاخوان الذين يسعون للحكم والسلطة عن طريق الانقلابات عن طريق الثورات عن طريق تهييج الناس على ولاتها بما يعرف يعني: ((الشعب يريد تغيير النظام)) أو بما يعرف بالإضرابات

وبالمظاهرات وبهذه الاعتصامات والثورات فكلها مخالفة لشرع الله عز وجل.

ومن أحسن الكتب التي قررت هذا الأمر أعني قررت أن الأنبياء في دعوتهم إلى الله دعوا إلى التوحيد ونبذ الشرك، ولم تكن دعوتهم خالية من التوحيد، ولم تكن دعوتهم مبنية على السياسة و السلطة و الحكم والوصول إليها هو شيخنا الإمام الهمام ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى في كتابه الفذ ((**منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله عز وجل فيه الحكمة والعقل**)).

وهذا الكتاب كتاب جميل أنا أوصي نفسي وأوصي طلاب العلم بل حتى عموم المسلمين أن يقرءوه، وقد اختصره أخونا الفاضل الشيخ أبو عبد الأعلى خالد عثمان المصري جزاه الله خيرا، في رسالة صغيرة بعد أن استأذن الشيخ.

فهناك كتاب مطول وهناك كتاب مختصر، فعلينا بقراءة هذا الكتاب لنعلم أن بعضنا ملبس عليه في عدم الاهتمام بالتوحيد، وأن تلك الجماعات على غير هدى من الله عز وجل.

لذلك يقول شيخ الاسلام : ((**عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله**)).

يعني: إذا وقعت في حبائر الشبكة وهي شبكة الصياد لأن الشيطان وأعوانه من الإنس والجن حريصون كل الحرص على إضلال الإنسان.

وابن القيم الجوزية ذكر سبع أبواب يأتي بها الشيطان ليضل الإنسان:

أول باب : يأتيه من باب الشرك، ثم يأتيه من باب الشبهات والبدع والضلالات، وهكذا ..

لذلك الشيطان يا إخواني -بارك الله فيكم- حريص أن يوقعك في الشرك.

ولذلك هنا مسألة مهمة لابد من التنبه لها، ماهي هذه المسالة ؟

نحن جميعنا بحمد الله تعالى مسلمون نقول: لا إله الا الله محمد رسول الله، نقيم التوحيد وننبذ الشرك، ولكن لا تتصور يا عبد الله أنك بهذا تكون فلتت من الشيطان، بمعنى الشيطان يأتي من أبواب أخر يحاول أن يوقعك في الشرك.

ولذلك هذه هي شبكة الشيطان: الشرك.

طيب، **ما الموقف منه؟**

الموقف أن نكون دائما حريصين على التوحيد نحققه ونتعلمه وننشره، وأن نكون أيضا دائما حذرين من الشرك نحذر منه، ونحذر أنواعه، ونحذر منه.

وكتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ((**كتاب التوحيد**)) من أفضل الكتب المؤلفة في هذا الباب، في بيان أنواع الشرك صورة صورة وبدليلها و بمسائلها، وهو كتاب جامع.

نسأل الله عز وجل أن يجعله في ميزان أعماله، جزاه الله عن هذه الأمة خيرا، وجزى الله عز وجل خيرا شيوخ السنة السلفيين كلهم خيرا عن هذه الأمة، في دعوتهم للسنة ومحاربتهم للبدع و في دعوتهم للتوحيد ومحاربتهم للشرك.

قال : ((**عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله**)).

لذلك تأملوا بارك الله فيكم في وصفه للشرك بالشبكة فإن الصياد يضع شبكته للصيد في مكان فإذا تعداه وسلم منه في المكان هذا يأخذ الشبكة، ويضعها في مكان آخر .

ولذلك إخواني بارك الله فيكم من الخطأ الذي نسمعه من بعض الناس اليوم أنه يقول: كفاية توحيد خلاص، نحن مسلمون ما نحتاج للتوحيد.

لابد أن يكون التوحيد معك إلى المات إلى المات، ولذلك من الصور التي يذكرها العلماء في حرص الشيطان على إضلال الإنسان، ما

جاء عن الفضيل بن عياض أنه كان في بيته نائما أو مستلق على وسادته، يقول : ((**وأنا لم أنم فإذا سقف البيت ينقشع ينكشف وإذا بسحابة عظيمة تأتي، وتدخل في غرفتي و تقول له هذه السحابة : يا فضيل إني أنا ربك، وأنك كذا وكذا))** فقال الفضيل: ((**خسئت عدو الله**)). فذهبت السحابة وعاد الجدار كما كان السقف كما كان.

فقال الشيطان ، خاطبه : كيف عرفت أني عدو الله؟

فقال علمت أني لست أفضل من رسول الله، ولست أفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم أخص أنا بهذا الأمر؟

فقال له الشيطان: لقد أضللت كذا وكذا من العباد بهذه الطريقة.

فانظروا: كيف الشيطان يحاول أن يضل الانسان؟

بل حتى يحاول أن يضل العلماء، ولكن المعصوم من عصمه الله عز وجل وحفظه، فإذا كان هذا حال العلماء والشيطان يحاول أن

يضلهم، ولكن من كان ثابتا على الحق متمسكا بالحق فإن الله عز وجل يحفظه بإذنه سبحانه وتعالى.

فما بالنا من دونهم؟

ولذلك علينا أن نحرص وأن نحذر، أن نحرص على تعلم التوحيد، وأن نحذر من الشرك وصوره ووسائله.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : ((**عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك؛ لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه**- أي قال في الشرك -: **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر دون ذلك لمن يشاء**)).

يعني: أنت لا تأمن على نفسك يا عبد الله أن تقع في حبائل وشبكة الشرك التي يتصيدك بها الشيطان أو أعوانه.

لعل البعض يسأل كيف ؟

أقول : قد يأتيك أحد، ويقول لك: أنت في ضيق تريد أولاد تريد مالا تريد هذا الأمر يفرج لك.

تقول: إي والله، نعم، أنا والله في ضيق أريد هذا الأمر يتيسر.

يقول: تعال تعال اذهب إلى الولي الفلاني واذبح له، وقل له: يا ولي كذا كذا ..

فأنت قد تكن في تلك الساعة في ساعة ضيق وهم فقد تقع في هذا الأمر وأنت لا تشعر، فهذا الرجل من أعوان الشيطان، فإذا لم يكن عندك التوحيد القوي تقع في حبائله، فإذا وقعت في الشرك وأنت تعلم أنه شرك ولكن للمصيبة أو للضيقة التي نزلت بك، وقعت في ذلك فإنك لا تأمن أن الله لا يغفر لك شيئا، وأن تكون خالدا مخلدا في النار.

قال : {**إن الله لا يغفر أن يشرك به**}: فمن مات مشركا كافرا ملحدا منافقا نفاقا اعتقاديا زنديقا فإن الله لا يغفر له ذنوبه ويخلده خالدا مخلدا في النار.

أسأل الله عز وجل أن يحفظني وإياكم من ذلك، وأن يجعلني وإياكم من المقيمين للتوحيد ومن البعيدين كل البعد من الشرك وحبائله ووسائله وصوره وأنواعه، وعن معصية الله عز وجل .

ثم قال بعد ذلك: ((**وذلك بمعرفة أربع قواعد**)).

ذكرها الله تعالى في كتابه وهذا ما سنقف عليه إن شاء لله في اللقاء القادم.

أسال الله عز وجل أن يحفظني وإياكم من كل سوء ومكروه، وأن يجلعني وإياكم من أهل السنة العالمين بها العاملين بها المستقيمين على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه الكرام.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

عُنْوَانُ الْمَتْنِ:

الْقَوَاعِدُ الأَرْبَعُ

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلاَ زَالَ الْحَدِيثُ مَوْصُولًا بِدِرَاسَةِ وَتَدَارُسِ الْقَوَاعِدِ الأَرْبَعَةِ، لِشَيْخِ الْإِسْلاَمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وَكَانَ قَدْ قَرَّرَ فِيمَا قَدْ سَبَقَ مَا يَتَعَلَّقُ بِبَيَانِ التَّوْحِيدِ، وَبَيَانِ الْحَنِيفِيَّةِ، وَهِيَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

ثُمَّ بَيَّنَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مَا يَتَعَلَّقُ بِخُطُورَةِ الشِّرْكِ، وَأَنَّ الشِّرْكَ يُحْبِطُ الْعِبَادَةَ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لَا تُسَمَّى صَلاَةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، وَأَنَّهُ كَمَا يُفْسِدُ الْحَدَثُ الطَّهَارَةَ وَ الصَّلاَةَ، كَذَلِكَ يُفْسِدُ الشِّرْكُ الْعَمَلَ.

ثُمَّ بَيَّنَ أَيْضًا أَنَّ الشِّرْكَ شَبَكَةٌ خَطِيرَةٌ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَتَخَلَّصَ منها، وَأَنْ يَعْرِفَ حَبَائِلَ وَطُرُقَ الشِّرْكِ لِيَجْتَنِبَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشِّرْكَ مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ وَصَاحِبُهُ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **((وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ)).**

يَعْنِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ التَّخَلُّصَ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّخَلُّصَ مِنَ الْبِدَعِ وَالضَّلاَلَاتِ، وَالتَّخَلُّصَ مِنَ الْبَاطِلِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ

الشِّرْعِيِّ، فَالتَّخَلُّصُ مِنَ الشِّرْكِ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ مَذْكُورَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يَعْنِي أَنَّ الشَّيْخَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لَمْ يَأْتِ بِهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ لَمْ يَخْتَرِعْهَا، بَلْ هُوَ مُتَّبِعٌ لِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ الْأَرْبَعَةُ إِذَا تَعَلَّمَهَا الْعَبْدُ وَعَرَفَهَا الْمَعْرِفَةَ الصَّحِيحَةَ فَإِنَّهُ إِنْ شَاءَ اللهُ يَنْتَفِعُ بِهَا فِي التَّخَلُّصِ مِنَ الشِّرْكِ.

وَقَوْلُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ((**بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ**)) يَعْنِي: أَرْبَعَةَ أُصُولٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

الْقَاعِدَةُ الأُولَى

((أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[1].

هَذِهِ الْقَاعِدَةُ الْأُولَى الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، **وَخُلاَصَةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ**: أَنَّ إِقْرَارَ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلاَمِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

خُلاَصَةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ: أَنَّ إِقْرَارَ وَاعْتِرَافَ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الرَّبُّ هُوَ الْخَالِقُ هُوَ الرَّازِقُ، لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

لِمَاذَا؟

لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ بِمَعْنَى لَمْ يُفْرِدُوا الْعِبَادَةَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ .

---

(1) يونس (31)

قَالَ: **وَالدَّلِيلُ** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾(2).

يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَوْ سُئِلُوا:

مَنِ الَّذِي رَزَقَهُمْ؟

وَمَنِ الَّذِي يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ؟

وَمَنِ الَّذِي أَخْرَجَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَأَخْرَجَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ؟

وَمَنِ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟

سَيَقُولُونَ اللهُ، فَهُمْ إِذَنْ مُقِرُّونَ وَمُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدِهِ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا.

فَإِذَنْ، إِذَا كُنْتُمْ تُقِرُّونَ بِذَلِكَ فَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْرِفُوا جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ للهِ .

---

(2) يونس (31)

((**فَقُل أَفَلاَ تَتَّقُونَ**)): أَيْ كَيْفَ تُشْرِكُونَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي تُقِرُّونَ أَنَّهُ بِيَدِهِ هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا؟

فَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ، وَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ، لِأَنَّ الْخَالِقَ الرَّازِقَ الْمُدَبِّرَ لِلأَمْرِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ تَكُونَ جَمِيعُ الْعِبَادَاتُ مَصْرُوفَةً لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يَجُوزُ صَرْفُ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ مِنْ دُعَاءٍ أَوْ ذَبْحٍ أَوْ طَوَافٍ أَوْ تَوَكُّلٍ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ صَرْفَهَا لِغَيْرِ اللهِ هِيَ صَرْفُهَا لِلْمَخْلُوقِ.

وَالْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، لِذَلِكَ **قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ**: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[3]، هَذِهِ الْقَاعِدَةُ مُهِمَّةٌ.

لِمَاذَا ؟

لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ، لَمَّا تُنْكِرُ عَلَيْهِ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ شِرْكٍ، مِنْ ذَبْحٍ لِغَيْرِ اللهِ أَوْ دُعَاءٍ لِغَيْرِ اللهِ أَوْ نَذْرٍ لِغَيْرِ اللهِ، يَقُولُ لَكَ يَا أَخِي أَنَا أَقُولُ اللهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، الخ.

---

(3) لقمان (13)

فَأَنَا لَسْتُ مُشْرِكًا، فَالشَّيْخُ يَقُولُ لَنَا وَيُعَلِّمُنَا، اعْلَمُوا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الْأَوَّلِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ذَلِكَ .

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(4).

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾(5).

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ خُلاَصَتُهَا- كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّد أَمَان الجَامِي رِحَمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي شَرْحِهِ لِلْقَوَاعِدِ الأَرْبَعَةِ.

قَالَ : ((**مُلَخَّصُهَا: أَنَّ عِبَادَة الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ مِنْ قَبِيلِ الْوَسَاطَةِ وَالشَّفَاعَةِ، لَا لِأَنَّ آلِهَتَهُمْ تَخْلُقُ أَوْ تَرْزُقُ أَوْ تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ**)).

(4) الزمر (3).
(5) يونس (18).

إِذَنْ مُلَخَّصُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنَّ عِبَادَةَ الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ الْوَسَاطَةِ وَالشَّفَاعَةِ، لَا لِأَنَّ آلِهَتَهُمْ تَخْلُقُ أَوْ تَرْزُقُ أَوْ تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ.

الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ يَقُولُ : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ أَيِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَاتُ، وَالَّذِينَ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلتَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُحَقِّقُوا تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ.

قَالُوا: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَقَرَّبْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَالَّذِينَ عَبَدُوا مَا عَبَدُوا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُونَ: نَحْنُ مَا تَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَلَيْسَ هُمْ مَقْصُودِينَ بِالْعِبَادَةِ وَإِنَّمَا هُمْ يُقَرِّبُونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْقُرْبَةُ وَالشَّفَاعَةُ، أَيِ اتَّخَذْنَاهُمْ قُرَبَاءَ وَشُفَعَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ((**فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ**)): أَيْ دَلِيلُ زَعْمِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَهَذِهِ الْآلِهَةَ لِتَقَرِّبَهُمْ إِلَى اللهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ

اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(6).

تَأَمَّلُوا -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ أَيْ: مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ.

يَعْنِي: لَيْسَتْ آلِهَةً، هُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ مِنْ مَلَكٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، أَوْ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ أَوْ رَجُلٍ صَالِحٍ.

{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}: أَيْ مَا نَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ وَمَا نَدْعُوهُمْ إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَأَمَّلُوا أَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ أَنَّهُمْ عَبَدُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ، وَلَكِنَّهُمْ هُمْ يَقُولُونَ: لَا نَعْبُدُهَا لِذَاتِهَا، وَلَكِنْ نَعْبُدُهَا لِتَقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَقَالَ: {مَا نَعْبُدُهُمْ }:أَيْ مَا نَتَوَجَّهُ لِدُعَائِهِمْ وَلِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ {إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}.

---

(6) الزمر (3).

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾يَعْنِي: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيُبَيِّنُ لَهُمْ، وَسَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى شِرْكِهِمْ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾: فَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ لِهَؤُلَاءِ:

أَوَّلًا: أَنَّهُمْ كَذَبَةٌ فَهُمْ عَبَدُوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَهُمْ تَوَجَّهُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَأَعْطَوْهَا مِنَ الصِّفَاتِ وَمِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يُعْطُونَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثَانِيًا: وَهُمْ كُفَّارٌ لِأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾: هَذَا دَلِيلُ الْقُرْبَةِ .

أَمَّا **دَلِيلُ الشَّفَاعَةِ**: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾[7].

فَهُنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَصَفَ عِبَادَتَهُمْ وَطَلَبَ الشَّفَاعَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَعْبُودَاتِ وَالْآلِهَةِ بِأَنَّهَا عِبَادَةٌ.

---

(7) يونس (18).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ﴾، يَعْنِي: مَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، لِأَنَّهُمْ أَحْجَارٌ فَمَاذا يَفْعَلُونَ؟ وَإِنْ كَانُوا أَمْوَاتًا فَلاَ شَيْءَ فِي أَيْدِيهِمْ، بَلْ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَفْعَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا ضَرَّ أَنْفُسِهِمْ.

قَالَ: ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾.

يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ، يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِتَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

إِذَنْ: فَالْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ عِبَادَةُ الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ، كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ الْوَسَاطَةِ وَالشَّفَاعَةِ، لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ تُنْكِرُ عَلَيْهِ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ مِنَ السَّيِّدِ الْفُلاَنِيِّ أَوْ حُسَيْنٍ أَوْ عَلِيٍّ أَوِ الْوَلِيِّ الْفُلاَنِيِّ.

يَقُولُ لَكَ: يَا أَخِي أَنَا مَا أَعْبُدُهُمْ، أَنَا جَعَلْتُهُمْ قُرْبَةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ أَوْ جَعَلْتُهُمْ وَسَاطَةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ.

فَنَقُولُ: بَلْ هِيَ عِبَادَةٌ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَصَفَ فِعْلَهُمْ بِأَنَّهُ عِبَادَةٌ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ﴾[8].

ثُمَّ أَيْضًا نَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ:
قَوْلُكُمْ عَيْنُ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا هَذِهِ الْآلِهَةَ، لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللهِ زُلْفَى، وَأَنَّهُمْ وُسَطَاءُ وَشُفَعَاءُ مِنْ دُونِ اللهِ.

فَإِذَنْ: يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَنَبَّهَ لِهَذِهِ الشُّبْهَةِ الَّتِي نَشَرَهَا وَيَنْشُرُهَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الشِّرْكِ .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **((وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ:** شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ)).

هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآلِهَةَ تَشْفَعُ لَهُمْ، فَالشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ جَاءَتْ فِي الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى نَوْعَيْنِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

مَا هِيَ الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ ؟

(8) يونس (18).

قَالَ: **فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ**: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ؛ **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(9).

فَنَفَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ فِي قَوْلِهِ: {وَلاَ شَفَاعَةٌ}، فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ.

وَمَا مَعْنَى كَوْنِهَا مَنْفِيَّةً ؟

يَعْنِي أَنَّهَا غَيْرُ مَقْبُولَةٍ، وَهِيَ بَاطِلَةٌ وَاللهُ قَدْ نَفَاهَا: {وَلاَ شَفَاعَةٌ}، فَالَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنَ السَّيِّدِ الْفُلاَنِيِّ أَوِ الصَّالِحِ الْفُلاَنِيِّ أَوِ الْوَلِيِّ الْفُلاَنِيِّ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ، فَهَذِهِ شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ، وَإِنَّمَا الشَّفَاعَةُ تُطْلَبُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلِذَلِكَ بَيَّنَهَا رَحِمَهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ، وَمَعْنَى الْمُثْبَتَةِ يَعْنِي الشَّفَاعَةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الشَّرْعُ، وَذَكَرَهَا الشَّرْعُ أَنَّهَا يُعْمَلُ بِهَا.

مَا هِيَ الشَّفَاعَةُ ؟

قَالَ: ((**هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ**)).

(9) البقرة (254).

قَالَ: وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، يَعْنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَذِنَ لِلشَّافِعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَشْفَعَ فَهَذَا مِنْ بَابِ الْكَرَامَةِ، وَمِنْ بَابِ الْإِكْرَامِ، وَمِنْ بَابِ الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ.

قَالَ: ((وَالْمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[10])).

إِذَنْ: الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ شُرُوطٍ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ تُطْلَبَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلاَ تُطْلَبُ مِنْ فُلاَنٍ وَلَا فُلاَنٍ، إِنَّمَا تُطْلَبُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: الرِّضَا عَنِ الشَّافِعِ فَإِذَا كَانَ الشَّافِعُ مَثَلاً كَافِرًا أَوْ كَانَ الشَّافِعُ مُنَافِقًا، فَإِنَّهُ لَا تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ، وَلَيْسَ لَهُ الشَّفَاعَةُ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الشَّفَاعَةِ الْمَنْفِيَّةِ، فَلاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ الشَّافِعُ مِمَّنْ يُكْرِمُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالشَّفَاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ .

(10) البقرة (255).

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: الرِّضَا عَنِ الْمَشْفُوعِ لَهُ، بِأَنْ يَكُونَ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَإِنَّ الْكَافِرَ أَوِ الْمُنَافِقَ هَؤُلَاءِ لَا يُشْفَعُ لَهُمْ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ.

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ وَأَنْ يَكُونَ الشَّافِعُ وَالْمَشْفُوعُ لَهُ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمَا، لِذَلِكَ هَؤُلَاءِ حِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ تُطْلَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ، إِنَّمَا يَزْعُمُونَ بَاطِلاً مِنَ الْقَوْلِ، لِأَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ هِيَ الشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ.

قَالَ ابْنُ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ أَيْ: بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ ولَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا تَوْحِيدَهُ وَاتِّبَاعَ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَنْ هَذِهِ هِيَ الشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ الشَّفَاعَةَ.

وَأَنَّهَا أَنْوَاعٌ:

فَالشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى: تَكُونُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ، حِينَ يَذْهَبُ النَّاسُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ يَنْتَهُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: **((أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا))** فَيَذْهَبُ وَيَسْجُدُ فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنْ مَحَامِدِ اللهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَشُكْرِهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ((**ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاسْأَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**)).

❋ ثُمَّ شَفَاعَةُ الْمَلَائِكَةِ.

❋ وَشَفَاعَةُ الصَّالِحِينَ.

❋ وَشَفَاعَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِبَعْضِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ إِلَى آخِرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَاتِ.

وَقَدْ أَنْكَرَ الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ، أَنْكَرَهَا الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ، لِأَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْكَبَائِرِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ ثَابِتَةٌ لَهُمْ، إِنْ رَضِيَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالشُّرُوطِ السَّابِقَةِ.

فَإِذَنْ خُلَاصَةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ كَمَا سَبَقَ: أَنَّ عِبَادَةَ الْمُشْرِكِينَ لِآلِهَتِهِمْ كَانَتْ مِنْ قَبِيلِ الْوَسَاطَةِ وَالشَّفَاعَةِ لَا لِأَنَّ آلِهَتَهُمْ تَخْلُقُ أَوْ تَرْزُقُ أَوْ تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ.

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

خُلاَصَةُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ:

أَنَّ كُلَّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْ نَقُولُ: أَنَّ عِبَادَةَ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ شِرْكٌ وَكُفْرٌ، سَوَاءٌ كَانَتْ لِلْمَلاَئِكَةِ وَلِلأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أَوْ كَانَتْ لِلشَّجَرِ أَوِ الْحَجَرِ أَوِ الشَّمْسِ أَوِ الْقَمَرِ، أَوْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ.

لِمَاذَا ؟

لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ: الْعِبَادَةُ الشِّرْكِيَّةُ هِيَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، هِيَ عِبَادَةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأَمَّا دُعَاءُ الأَوْلِيَاءِ وَمَحَبَّتُهُمْ، وَإِعْطَاؤُهُمْ بَعْضَ الصِّفَاتِ وَصَرْفُ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ لَهُمْ، هَذِهِ لَا تُسَمَّى شِرْكًا، لِأَنَّ الشِّرْكَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْحَجَرِ وَالصَّنَمِ وَالشَّجَرِ وَالصَّالِحِينَ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، أَمَّا عِبَادَةُ الأَوْلِيَاءِ أَوِ الأَنْبِيَاءِ أَوِ الْمَلاَئِكَةِ وَدُعَاؤُهُمْ فَهَذِهِ لَيْسَتْ عِبَادَةً وَلَيْسَتْ شِرْكًا.

فَبَيَّنَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْقَاعِدَةَ أَنَّ صَرْفَ أَيِّ نَوْعٍ غَيْرِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ هِيَ شِرْكٌ، سَوَاءٌ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا أَوْ مَلَكًا أَوْ رَسُولًا أَوْ حَجَرًا أَوْ شَجَرًا أَوْ قَمَرًا .. الخ.

مَا الدَّلِيلُ ؟

قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَ جَمِيعَ هَؤُلَاءِ، فَهُنَاكَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ رِجَالًا صَالِحِينَ كَاللاَّتِ، وَهُنَاكَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ عِيسَى كَالنَّصَارَى، وَهُنَاكَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْحَجَرَ، فَقَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ صَرَفُوا أَنْوَاعًا مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ فَهُمْ مُشْرِكُونَ كُفَّارٌ.

لِذَلِكَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، بَيَّنَ لَنَا بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ، أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْمُسَمَّيَاتِ إِذَا صُرِفَتِ الْعِبَادَةُ لَهُمْ فَهِيَ مِنْ بَابِ الشِّرْكِ، وَاتِّخَاذِ الْأَنْدَادِ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَ: **وَالدَّلِيلُ** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾(11).

الدَّلِيلُ عَلَى مَاذَا؟

الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَهُمْ جَمِيعًا.

أَيْنَ وَجْهُ الاِسْتِدْلَالِ ؟

وَجْهُ الاِسْتِدْلَالِ: الْعُمُومُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، لَمَّا ذَكَرَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، لَمْ يَقُلْ مَثَلاً: ((**وَقَاتِلُوا عُبَّادَ الْأَصْنَامِ**)). ((**قَاتِلُوا عُبَّادَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ**)). وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أَمَرَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَمَرَنَا مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُقَاتِلَ جَمِيعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ وَأَصْنَافِهِمْ؛ فَلاَ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ حَجَرًا، أَوْ كَانَ يَعْبُدُ وَلِيًّا صَالِحًا أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلاً أَوْ مَلَكًا مُقَرَّبًا، فَكُلُّهُمْ مُشْرِكُونَ لِأَنَّهُمْ صَرَفُوا الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(11) الأنفال (39).

فَقَوْلُهُ: ﴿ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾أَيْ حَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ،

﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه ﴾، يَعْنِي تَكُونُ الْعِبَادَةُ خَالِصَة للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَ بِهَذَا قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

﴿ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أَيْ: حَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ، فاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنَا بِذَلِكَ حَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَتَّى يُعْبَدَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(12).

فَهَذِهِ الْآيَةُ، دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَهَى عَنِ السُّجُودِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأَمَر بِالسُّجُودِ لَهُ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِهَذَا السُّجُودِ.

---

(12) فصلت (37).

لِذَلِكَ قَالَ: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، وهَذَا السُّجُودُ عِبَادَةٌ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِذَلِكَ نُهِيَ عَنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا.

لِمَاذَا ؟

لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، يَرْقُبُ الشَّمْسَ بِمَعْنَى: يَتَحَيَّنُ وَيُرَاقِبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ عِنْدَ غُرُوبِهَا أَوْ عِنْدَ طُلُوعِهَا، فَإِنَّهُ يَجْعَلُهَا بَيْنَ قَرْنَيْهِ؛ وَلِذَلِكَ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا إِرْغَامًا لِلشَّيْطَانِ وَإِبْعَادًا وَحِمَايَةً لِلتَّوْحِيدِ.

وَهَذَا كَمَا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ النَّهِيَّ عَنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ عِنْدَ غُرُوبِهَا لِغَيْرِ سَبَبٍ، أَمَّا لَوْ كَانَتْ لِسَبَبٍ كَتَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ، أَوْ صَلاَةِ جَنَازَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ أَوْ صَلاَةٍ فَائِتَةٍ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ يُصَلِّي للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلَكِنْ أَنْ يَقُومَ الْمُسْلِمُ وَيَتَطَوَّعُ تَطَوُّعًا مُطْلَقًا عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ عِنْدَ غُرُوبِهَا، فَإِنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ كَمَا جَاءَ فِي الدَّلِيلِ، يَرْقُبُ ذَاكَ الْوَقْتَ فَيَقِفُ فَتَكُونُ الشَّمْسُ أَوِ الْقَمَرُ بَيْنَ قَرْنَيْهِ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعا لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً**)) .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى **وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا ﴾(13)

﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلائِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا﴾ أَيْ: مَعْبُودِينَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلاَ تُعْبَدُ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ فَلَوِ اتَّخَذَ أَحَدَ الْمَلاَئِكَةَ أَرْبَابًا فَقَدْ كَفَرَ،﴿**أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾، فَالْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ مُنَزَّهُونَ عَنْ ذَلِكَ، صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مَنِ اتَّخَذَ الْمَلاَئِكَةَ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ.

قَالَ: ﴿ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا ﴾، أَيْضًا كَذَلِكَ النَّبِيِّينَ، وَلَكِنْ أَفْرَدَهُمُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الدَّلِيلِ التَّالِي: حَيْثُ قَالَ:

---

(13) آل عمران (80)

وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى **وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾(14) .

هَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَنَّ مَنْ عَبَدَ الْأَنْبِيَاءَ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ؟

هَذَا السُّؤَالُ لَيْسَ مِنْ بَابِ طَلَبِ الْجَوَابِ، وَلَكِنْ هَذَا مِنْ بَابِ تَوْبِيخِ الْمُشْرِكِينَ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، يَعْنِي: لَا حُجَّةَ لَكُمْ فِي عِبَادَةِ عِيسَى أَوْ عِبَادَةِ مَرْيَمَ أَوْ عِبَادَةِ أَحَدٍ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَعِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَقُلْ لِلنَّاسِ: اعْبُدُونِي وَاعْبُدُوا أُمِّي وَاتَّخِذُونَا إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ، قَالَ عِيسَى:﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾، أَيْ أُنَزِّهُكَ يَا اللهُ فَأَنْتَ الْخَالِقُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

(14) المائدة (116).

﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، لَيْسَ لِي أَنْ أَدْعُوَ النَّاسَ لِعِبَادَةِ غَيْرِكَ، فَهَذَا لَيْسَ لِي، ثُمَّ قَالَ:

﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ يَعْنِي: يَا رَبِّ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، فَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ النَّفْسِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ} فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِأَنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسًا تَلِيقُ بِجَلَالِهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، فَإِذَنْ هَذَا دَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ: **وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ**: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[15].

مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، الَّذِينَ يَدْعُونَهُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللهِ، هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ هُمْ أَنْفُسُهُمْ

(15) الإسراء (57).

يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ، يَرْغَبُونَ وَيَطْلُبُونَ إِلَى اللهِ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ، هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالصَّالِحُونَ وَالْأَوْلِيَاءُ.

فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالصَّالِحُونَ، إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ هُمْ أَنْفُسُهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ، فَكَيْفَ تُشْرِكُونَهُمْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ يَدْعُونَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلِمَاذَا لَا تَكُونُونَ مِثْلَهُمْ فَتَدْعُونَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؟

وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَدْعُوُّونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَالصَّالِحُونَ وَنَحْوُهُمْ ، لَوْ كَانَ بِيَدِهِمْ شَيْءٌ، لَنَفَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِيَدِهِمْ شَيْءٌ، وَقَدِ انْقَطَعَ عَمَلُهُمْ بِمَوْتِهِمْ، انْقَطَعَ عَمَلُ الصَّالِحِينَ بِمَوْتِهِمْ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ كَمَا فِي الْحَدِيثِ، فَإِذَنْ هَؤُلَاءِ: يَعْبُدُونَ اللهَ وَيَبْتَغُونَ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، وَيَرْجُونَ الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ،

ثُمَّ قَالَ: **وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ:**

❁ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ❁ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[16].

قَالَ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ﴾ اللاَّتُ رَجُلٌ صَالِحٌ بِالطَّائِفِ، كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحُجَّاجِ، فَعُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا مَاتَ.

وَالْعُزَّى: شَجَرَةٌ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا جِنِّيَّةٌ تُكَلِّمُ النَّاسَ وَكَانُوا يَطُوفُونَ حَوْلَهَا وَيَذْبَحُونَ لَهَا، وَهِيَ الَّتِي قَالَ فِيهَا بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ حِينَهَا: وَالْعُزَى لَنَا وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ الصَّحَابَةَ أَنْ يَقُولُوا: ((اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ)). وَكَانَ مِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ، أَبُو سُفْيَانَ حَالَ كَوْنِهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ أَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَنَاةُ: فَكَانَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ وَبَعْضُ الْقَبَائِلِ يُعَظِّمُونَهَا وَيُهِلُّونَ مِنْهَا لِلْحَجِّ وَيَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ❁ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[17] مَنَاةُ الصَّخْرَةُ، اللاَّتُ: رَجُلٌ صَالِحٌ، وَالْعُزَّى: شَجَرَةٌ كَانَتْ بِهَا جِنِّيَّةٌ.

---

(16) النجم (19 – 20)
(17) النجم (19 – 20)

وَمَنَاةُ: صَخْرَةٌ، كَانُوا يُهِلُّونَ مِنْهَا وَيُرِيقُونَ عِنْدَهَا الدِّمَاءَ تَبَرُّكًا بِهَا، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ وَقَعَ، وَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَدْعُو الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ وَأَنَّهُ شِرْكٌ وَكُفْرٌ بِاللهِ.

قَالَ: وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. الحَدِيثَ.

مُرَادُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَذَا الْحَدِيثِ، بَيَانُ حَالِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ سِدْرَةٌ، شَجَرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، يَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ.

لِمَاذَا يُعَلِّقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ؟

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ السِّدْرَةَ، الشَّجَرَةَ، إِذَا عَلَّقُوا عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، انْتَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَقَوِيَتْ أَسْلِحَتُهُمْ وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ، فَعَبَدُوا الْأَشْجَارَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَالصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، كَمَا وَصَفَهُمْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ كَانُوا حُدَثَاءَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، يَعْنِي أَسْلَمُوا مِنْ قَرِيبٍ، وَهُمْ مُسْلِمَةُ الْفَتْحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

وَلَمْ يَطْلُبُوا هَذَا الْأَمْرَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَابِ عِبَادَةِ أَوِ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّمَا وَقَعَ هَذَا مِنْهُمْ، كَمَا بَيَّنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَكَمَا فِي قَوْلِ أَبِي وَاقِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ كَانُوا حُدَثَاءَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ.

وَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةَ قُلُوبُهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِالشِّرْكِ، أَوْ أَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ شَيْئًا مِنَ الشِّرْكِ أَوْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَتَّخِذُوهَا مِنْ دُونِ اللهِ، كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ مُنَزَّهُونَ عَنْ ذَلِكَ.

وَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَذْكُرَ الصَّحَابَةَ بِسُوءٍ، وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ مُبَرَّؤُونَ مِنْ ذَلِكَ.

وَلِذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَوْرَدَ هَذَا لِقَوْلِهِ فِي الرِّوَايَةِ: وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّهُمْ عَبَدُوا الشَّجَرَةَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

إِذَنِ الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ كَمَا سَبَقَ خُلَاصَتُهَا: أَنَّ صَرْفَ أَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ هُوَ شِرْكٌ، سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا أَوْ صَالِحًا أَوْ شَجَرًا أَوْ حَجَرًا أَوْ شَمْسًا أَوْ قَمَرًا أَوْ بَقَرًا، كَمَا عِنْدَ الْهِنْدُوسِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

فَإِذَنْ: كُلُّ هَذِه صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ .

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ؛ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[18].

(18) العنكبوت (65).

هَذِهِ الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ خُلاَصَتُهَا:

أَنَّ بَعْضَ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، أَشَدُّ وَأَغْلَظُ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ الأَوَّلُونَ.

مَنْ هُمُ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ؟

هُمُ الْكُفَّارُ الْخُلَّصُ، الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَاتَلَهُمْ وَحَارَبَهُمْ وَدَعَاهُمْ لِلتَّوْحِيدِ.

((**مُشْرِكُو زَمَانِنَا**)): مُرَادُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، بِمُشْرِكِي زَمَانِنَا، أَيِ: الَّذِينَ وقَعُوا فِي هَذَا الشِّرْكِ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَلَا زَالُوا مُصِرِّينَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، بَعْدَ بَيَانِ الْحُجَّةِ لَهُمْ.

أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مَنْ وَقَعُوا فِي الشِّرْكِ مُطْلَقًا، دُونَ تَكْفِيرٍ لَهُمْ إِلَّا بَعْدَ بَيَانِ الْحُجَّةِ وَقِيَامِهَا عَلَيْهِمْ، فَلَيْسَ مُرَادُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تَكْفِيرَ مَنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ بُلُوغِ الْحُجَّةِ.

فَإِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَغَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَعْذِرُونَ بِالْجَهْلِ.

طَيِّبٌ، **مَا وَجْهُ كَوْنِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا فِي زَمَانِنَا أَغْلَظَ وَأَشَدَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْأَوَّلِينَ؟**

هُوَ ذَكَرَ لَنَا مِثَالًا هُنَا.

مَا هُوَ هَذَا الْمِثَالُ ؟

الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ ظَهَرَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا وَلَمْ يُسْلِمُوا كَانَ حَالُهُمْ فِي السَّرَّاءِ، يَعْنِي فِي حَالَةِ الْأَمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ، كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللهِ، وَلَكِنْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا رَكِبُوا فِي الْبَاخِرَةِ، فِي السُّفُنِ، فِي الْفُلْكِ وَدَخَلُوا فِي الْبَحْرِ، وَأَصَابَتْهُمُ الْمُصِيبَةُ بِأَنْ مَاجَتِ الْأَمْوَاجُ وَارْتَفَعَتْ وَقَرُبَ هَلَاكُهُمْ.

مَاذَا يَفْعَلُونَ؟

يَنْسَوْنَ أَصْنَامَهُمْ، وَيَنْسَوْنَ مَعْبُودَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

مَاذَا يَفْعَلُونَ؟

يَدْعُونَ اللهَ.

مَا صِفَةُ دُعَائِهِمْ ؟

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، يَعْنِي: تَتَعَلَّقُ قُلُوبُهُمْ بِاللهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا تَلْتَفِتُ أَبَدًا لِتِلْكَ الْأَصْنَامِ الَّتِي طَافُوا حَوْلَهَا وَذَبَحُوا لَهَا، وَنَذَرُوا لَهَا، وَسَجَدُوا لَهَا، وَعَكَفُوا عِنْدَهَا، لَا يَلْتَفِتُ لَهَا فِي حَالَةِ الضَّرَّاءِ، فِي حَالَةِ الْمُصِيبَةِ، فَهُمْ فِي السَّرَّاءِ يُشْرِكُونَ، وَفِي الضَّرَّاءِ يُخْلِصُونَ. هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ.

أَمَّا الْمُشْرِكُونَ الْيَوْمَ مِمَّنْ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ:

فَإِنَّهُمْ إِذَا رَكِبُوا فِي السُّفُنِ وَأَصَابَتْهُمُ الْمُصِيبَةُ، لا يَقُولُونَ يَا اللهُ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ: يَا حُسَيْنُ، يَا سَيِّدَ الْبَحْرِ، يَا فُلانُ أَغِثْنَا، أَنْقِذْنَا، فَهُمْ يُشْرِكُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ هُمْ أَشَدُّ شِرْكًا مِنَ الْأَوَّلِينَ.

وَأَيْضًا: الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ، فِي الْآيَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي الْقَاعِدَةِ الْأُولَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾(19).

كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، مُدَبِّرُ الْأَمْرِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ، فَإِنَّ مُشْرِكُو زَمَانِنَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ بَعْضَ سَادَاتِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْكَوْنِ وَأَنَّ بِيَدِهِمْ الرِّزْقَ، رِزْقَ الْمَالِ أَوْ رِزْقَ الْوَلَدِ أَوْ،أَوْ.... الخ.

فَصَرَفُوا بَعْضَ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَرَفُوا بَعْضَ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ كَانَ شِرْكُهُمْ أَغْلَظَ مِنْ شِرْكِ الْأَوَّلِينَ .

هَذِهِ الْقَاعِدَةُ مَا مُلَخَّصُهَا؟

مُلَخَّصُ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ: أَنَّ صَرْفَ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ أَنْ نَقُولَ: إِنْ صَرْفَ أَنْوَاعٍ مِنْ

---

(19) يونس (31)

تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنْوَاعٍ مِنْ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ لِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ أَغْلَظُ مِنْ شِرْكِ الْأَوَّلِينَ، الَّذِينَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيُخَالِفُونَ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

وأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا وَفِي زَمَانِ الْمُصَنِّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُمْ يَقَعُونَ فِي شِرْكِ الرُّبُوبِيَّةِ وَفِي شِرْكِ الْأُلُوهِيَّةِ.

وَكَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ الْعَلاَّمَةُ مُحَمَّد أَمَان الْجَامِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا وَقَعَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَلَمْ تُبَيَّنْ لَهُ الْحُجَّةُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ الْعِلْمُ أَنَّ مَا فِيهِ هُوَ الشِّرْكُ، أَنَّهُ يُعْذَرُ بِجَهْلِهِ.

شَيْخُ الْإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، رَدَّ عَلَى بَعْضِ الْعُلَمَاءِ قَوْلَهُمْ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي بَعْضِ أَنْوَاعِ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

ثُمَّ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلاَمِ: ((**هَذَا كُفْرٌ وَأَنَا لَا أُكَفِّرُكُمْ لِجَهْلِكُمْ**)).

هَذَا كَلاَمٌ يَقُولُهُ شَيْخُ الْإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لِعُلَمَاءَ ضَلُّوا فِي بَابِ التَّوْحِيدِ، وَعِنْدَهُمْ شُبَهٌ وَجَهْلٌ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ فَعَذَرَهُمْ بِجَهْلِهِمْ.

فَقُولُوا لِي بِرَبِّكُمْ: مَا بَالُ عَوَامِّ النَّاسِ؟

وَلِذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى خُبْثِ وَقُبْحِ وَشِدَّةِ رَدَاءَةِ مَذْهَبِ الْحَدَّادِيَّةِ أَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ عَوَامَّ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ حَتَّى يُكَفِّرُونَ آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَأَهَالِيَهُمْ وَلَا يَعْذِرُونَهُمْ بِالْجَهْلِ.

بَلْ حَتَّى الْعُلَمَاءُ الَّذِين يَقُولُونَ بِالْعُذْرِ بِالْجَهْلِ، فَإِنَّ الْحَدَّادِيَّةَ يُكَفِّرُونَهُمْ، مَعَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءَ يَقُولُونَ بِالْعُذْرِ بِالْجَهْلِ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، لَا بِالْهَوَى، مَعَ ذَلِكَ الْحَدَّادِيَّةُ يُكَفِّرُونَهُمْ.

فَعِنْدَهُمْ أَنَّ مَنْ وَقَعَ فِي الْكُفْرِ كَافِرٌ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْكَافِرَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ عَذَرَ الْكَافِرَ فَهُوَ كَافِرٌ، انْظُرُوا إِلَى هَذَا التَّسَلْسُلِ الْقَبِيحِ، وَلِذَلِكَ الْحَدَّادِيَّةُ أَصْلُ مَنْهَجِهِمُ التَّكْفِيرُ، هُمْ تَكْفِيرِيُّونَ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

إِذَنْ هَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ، وَبِهَا تَتِمُّ الرِّسَالَةُ، ((وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)).

هَذِهِ الرِّسَالَةُ كَمَا سَبَقَ مِنَ الرَّسَائِلِ الْمُهِمَّةِ وَالْمُفِيدَةِ، كَمَا وَصَفَهَا الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فِي أَوَّلِ شَرْحِهِ لِلْقَوَاعِدِ الْأَرْبَعَةِ، حَيْثُ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ((فَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ الْأَرْبَعُ نَبَّهَ عَلَيْهَا الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ، وَهِيَ قَوَاعِدُ مُهِمَّةٌ، فَمَنْ عَقَلَهَا وَفَهِمَهَا جَيِّدًا، فَهِمَ دِينَ الْمُشْرِكِينَ وَفَهِمَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَغْلَبُ الْخَلْقِ لَا يَفْهَمُ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ وَلِهَذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْهِمْ، فَعَبَدُوا الْقُبُورَ وَأَصْحَابَهَا وَالْأَوْلِيَاءَ وَالْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ مِنْ دُونِ اللهِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لِجَهْلِهِمْ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَحَقِيقَةِ الشِّرْكِ)) اهـ.

يَعْنِي: لَمَّا صَرَفُوا هَذِهِ الْأَنْوَاعَ لِغَيْرِ اللهِ، إِنَّمَا صَرَفُوهَا بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ بِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ بِحَقِيقَةِ دِينِ الْمُشْرِكِينَ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.